



اليمن

تحت حكم الإمام أحمد



تأليف:
د. أحمد عبيد بن دغر

عرض / توفيق عثمان الشرعبي

(الحلقة الثانية)



اليمن ظلت ساحة واحدة للنضال ضد الإمامة والاستعمار

أثبت الشعب أنه شعب واحد في الخطوب والملمات

اليمن كانت كهف تحرسه أشباح التخلف

الألعاب الرياضية اعتبروها حركات شيطانية وصلاة على مسرح الأبالسة

والخطا والتفاني من خصوصيات العقابية. زد على ذلك أن الفساد في الإدارة كما في القضاء وبقية أجهزة الدولة أمرا شائعا وكان الإمام أحمد نموذجا لذلك الفساد.

أما الفصل الثالث من الكتاب فقد خصصه الدكتور أحمد عبيد بن دغر للتعليم والحياة الثقافية ويمكن تلخيص ما أورده المؤلف عن التعليم بالاستنتاج الذي يؤكد أن نسبة الأمية في اليمن كانت عالية جدا، وهي أعلى بالتأكيد عند الفئات الأكثر فقرا في المجتمع وقد قال المؤلف بأن ما قاله رئيس وزراء الإمام الأمير الحسن متباها: «إن اليمن قد حققت نسبة ١٠٠٪ في التعليم، ليس فقط لدى الذكور بل ولدى الإناث أيضا، كلام مردود عليه ولا يتسم بالمصدقية، وهو بعيد عن الواقع كبعد الأرض عن السماء لكنها مقتضيات السياسية، لقد حرص الأئمة على ألا يشيعوا من العلم إلا ما أطمأنوا إلى غياب ضرره، ومع المطالب الملح للمعارضة اضطرت الأئمة إلى القبول بإرسال البعثات إلى الخارج واستقبال بعثات إلى الداخل.. ومثلما كان التعليم أحد مجالات الصراع، كانت بنفس الوقت عاملا من عوامل الدفع بالمجتمع نحو حياة أفضل.

وفي عرض رائع للحياة الثقافية قدم المؤلف مادة خصبة عن المذاهب في اليمن لينتقل إلى الأدب وقضايا التغيير وبأسلوب الخبير التاريخي والمنقذ الحضيف أكد بن دغر أن الصراع الثقافي الفكري الذي يدور رحاه في

الشمال، لم يكن بمعزل عما يجري في الجنوب المحتل، وقد أثبت الشعب اليمني أنه دائما شعب واحد في الخطوب والملمات، وكانت أنات الشمال يسمع صداها في الجنوب، وكذا العكس فطلما كان هناك صرخا على الدين وشرا مستطيرا، وكان دعاة الجمود يصفونها بأنها حركات شيطانية.. وصلاة على مسرح الأبالسة كذلك فالسينما والمسرح من المحرمات.

في نهاية هذا الفصل من الكتاب أشار المؤلف إلى محاولة الأئمة إقناع الأغلبية من السكان بالوقوف خلفهم استنادا إلى فهم واحد ومشترك للقيم الدينية، لكن الأدباء والشعراء بصورة عامة لعبوا أدواراً تنويرية غاية في الأهمية، حيث حملوا على آكتافهم مهمة التعبير عن الجديد الراض لذلك النظام.

الاستقلال الصائغ
أفرد الدكتور أحمد عبيد بن دغر فصلاً كاملاً تحت هذا العنوان ليهد به للقسم الثاني من كتابه الذي قسمه إلى قسمين كما أشرنا في الحلقة الماضية.. و«الاستقلال الصائغ» حوى الأحداث التي سبققت وصول الإمام أحمد إلى سدة الحكم، حيث كان واحداً من رموز تلك المرحلة.. وقد كشف المؤلف في هذا الفصل حقيقة الأوضاع التي آلت إليها اليمن بعد الاستقلال الذي صادقت عليه الدول في ٢٤ يوليو ١٩٢٣م بعد أن رحلت القوات العثمانية عن اليمن واستمرت زهاء عامين ارتكبت فيها قوات الإمام مجازر وانتهكت حرمت واستباحته حقوقاً.. لكنها أدت إلى بسط نفوذ الدولة المركزية، في تلك المناطق النائية خصوصاً المقاطرة، التي جرت فيها واحدة من أكبر معارك

الإمام هو الدولة والدولة هي الإمام

بسط الإمام على «10.700» هكتار واستولى على عائدات الأوقاف

الأئمة استغلوا المواطن وامتحنوا كرامته الانسانية

كذلك وقف الدكتور بن دغر على أنماط اقتصادية واجتماعية أخرى تتعلق بالإنتاج الزراعي «مشاعي بدائي» والإنتاج شبه الإقطاعي وإنتاج برجوازي ثم تطرق إلى أشكال الملكية التي تعددت إبان الحكم الإمامي الاستيلاء على أملاك الخصوم، أو عن طريق تحويل أملاك الدولة العثمانية إلى الملكية الخاصة للإمام.. حيث بلغت ملكيته الخاصة وعائلته «١٠٧٠٠» هكتار بالإضافة إلى أن عوائد الأوقاف كانت تذهب إلى خزينة الأئمة.

كما أن المؤلف الدكتور بن دغر وقف على تعدد الطبقات الاجتماعية ودرس الحالة التي كان عليها المجتمع اليمني بالتفصيل ليجد أن «عنصر النسب» كان له الأثر والمفعول في تشكيل حالة المجتمع.. حيث كرس الأئمة هذا العنصر في كل مناحي الحياة فجعلوا من قضية النسب الهاشمي حقاً الهيا في الملك والحكم حتى غدا وكمأته جزء من ثقافة المجتمع اليمني، وهو غير ذلك.

لقد دقق المؤلف في كافة التقسيمات والاسهومات التي تناولت البناء الاجتماعي في اليمن بتكويناته الطبقي.. حتى خلص إلى إعادة تقسيمه إلى ثلاث طبقات: استرطراطية عليا.. وتجارية إقطاعية وسطى، وكادحة فلاحية وعمالية دنيا، وكل طبقة تتكون من عدة فئات. وعندما تناول المؤلف الطبقة

الاسترطراطية العليا وجدها طبقة متغلقة على نفسها، خلقت سيقا ايدولوجياً عاماً كرست من خلاله وضعها كجماعة حاكمة تنتسب إلى آل البيت، ومدت نفسها بنسيج من المعتقدات لتحتمي بها.. لقد كان أفرادها يتمتعون بمراكز في الوسط الاجتماعي وهذا ما جعل ركبهم وأيديهم ثقيل من قبل المواطن، كما أن الصدقات والهبات والهيا والنذور كانت تذهب إلى هذه الفئة رغم كثر مال أفرادها..

وبعد التأمل في هذه الفئة لم يقبل المؤلف - وجددها في واقع الأمر غير متجانسة وهذا ما جعل أفرادها بل وأسرا تشارك في مقاومة ذلك الوضع وترفضه وتمتد عليه. وفي الحديث عن فئة القضاة كمكون آخر للطبقة العليا وجد المؤلف بن دغر أن هذه الفئة لم يكن لها أصل سلافي واحد وقد برز دورها أكثر فأكثر في نظام البيعة للإمام ويرى المؤلف أنه إن كان هذا الدور مهماً للفضة إلا أنه لم يكن حاسماً في اختيار الإمام فقد دعا الإمام يحيى نفسه بالخلافة لابنه أحمد وكذلك فعل أحمد مع ابنه البدر.

أما فئة التجار التي كونت مع فئة الشيوخ وكبار الملاك وكبار الموظفين الطبقة الوسطى فقد برز دورها من خلال بعض التجار المستنيرين الذين أدركوا بفعل احتكاكهم بالعالم الخارجي مدى تخلف اليمن عن ركب الحضارة المعاصرة ومن الطبيعي أن يصطدم هؤلاء مع الموقف الانعزالي الذي يتناه الإمام وكنههم واصلوا دورهم الاصلاحى وساهموا في القضاء على النظام الإمامي. وبعد أن قدم المؤلف شرحاً مفصلاً عن بقية فئات الطبقة الوسطى انتقل إلى تناول الفئة الدنيا التي تتكون من الفلاحين الذين يمثلون ٨٠٪ من السكان والعمال الذين قدر عددهم بنحو ١٢ ألف عامل والصيادين والحرفيين وصغار الموظفين والجنود وهؤلاء وإن كان لهم دخل ثابت

فإنه لا يفي لسد احتياجات المعيشة البسيطة، وهذا ما أفصح مجالاً للرشوة والفساد.. ثم تناول فئة العبيد والأخدام الذين كانوا في قاع السلم الاجتماعي فقراً ومرتبته وخلص المؤلف إلى أن العلاقات بين الطبقات الثلاث انسمت بالتناقض الحاد.. وقد استخدمت الطبقة الحاكمة كل الوسائل لحسم صراعاتها مع الطبقتين - المتوسطة والفقيرة - لصالحها باستخدام السلطة والايديولوجيا وللأسف الدين أيضاً.. واستمر الوضع إلى أن فقد الأئمة كل امكانية لتسوية اكانبيهم بالحق الإلهي في الحكم والانفراد بمقردرات البلاد وثرواتنا.

وفي ميحنه العلمي عن السلطة ضمن الفصل الثاني من الكتاب قدم الدكتور أحمد عبيد بن دغر شرحاً مفصلاً عن مكانة الإمام أحمد وعن ادارته لشئون البلاد، مدققاً في تناوله لواقع المؤسسات والبعثات العسكرية ومصادر التسليح. وبعد الاستعراض الدقيق لذلك وصل المؤلف إلى حقائق تؤكد أن الأئمة قاموا بإلغاء اللبثات الأولى لإدارة مدنية حديثة كان العثمانيون قد حاولوا تأسيسها، بالإضافة إلى أن الإمام كان ملكاً ثورياً يجمع بين يديه كل السلطات الروحية والزمنية ويصرف بأمور الدولة كحاكم مستبد، وبالرغم من تشكيل عدد من الحكومات إلا أنها لم تكن فعليه.. وباختصار فإن الإمام كان هو الدولة والدولة هي الإمام.

كما أن محاولات الإمام أحمد لتطوير أجهزة الدولة لم تكن سوى ردود فعل على تنامي المعارضة الداخلية السياسية.. لقد كان القانون غائباً تماماً وللإمام وسائله العقابية الجماعية والفردية، ولعل عقوبة الرهائن

الإمام.. ووقف الدكتور أحمد عبيد بن دغر في هذا الفصل - على الحملة العسكرية التي وجهها الإمام يحيى للقضاء على «ثورة» ناصر مبخوت الأحمر ومحسن شيبان أمير لواء حجة- وكانت الحملة العسكرية بقيادة ابنه احمد في أول ظهور له وقد حاصر حجة حتى انتهى الحصار باتفاق سمح لابن الأحمر بالخروج من قاهرة حجة إلى حاشد مع رجاله وأسلحته ودخل احمد المدينة وأصبح أميرها، وبرز نجمه من يومها.

كما وقف المؤلف على أكثر الحروب القبلية ضراوة وأطولها عمراً والتي كانت بين الإمام يحيى وقبيلة الزرائق في تهامة وبالتحديد بين الحديدة وزبيد أي في «بيت الفقيه» وكان عدد أفرادها «٩٠.٠٠٠» نسمة تقريباً احتفظوا باستقلاليتهم طوال فترة السيطرة العثمانية على اليمن.. وكان الإمام قد ترك هذه القبيلة وشأنها بعد أن استولى على تهامة.

وفي عام ١٩٢٦م قام بعض أفراد القبيلة بقتل أعداد من جنود الإمام، فأرسل لهم حملة قوامها ألف جندي تقريباً ولكن القبيلة أبادتها عن آخرها.. فأبدك الإمام خطورة الموقف فأرسل حملة بقيادة ابنه أحمد الذي استغل الفرصة ليؤسس سمعته فيما بعد..

وبعد أن حاربت القبيلة طيلة عامين، تم اقتحامها في آخر معقل لها «بيت الفقيه» وأسر شيوخها ورجالها وزج بهم في سجون حجة الرهيبة حتى قضاو نجحهم وقد قدرت أعدادهم بنحو ٧٠٠ شخص وهناك مقبرة قرب حجة تدعى مقبرة الزرائق..

وتناول المؤلف الدكتور بن دغر حرب الإمام مع الباغ في مدينة البيضاء الذي أدعى الإمام لنفسه. كما تناول المؤلف سياسة الإمام يحيى تجاه القضية الجنوبية مع البريطانيين وحذك الأدارسة والحرب اليمنية السعودية.

ولأن سياسة الإمام يحيى انعزالية بالإضافة إلى فشله في مواجهة الأخطار والتحديات التي ظهرت في ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين فقد أدى كل ذلك إلى ظهور معارضة وطنية فرضها توقع الإمام وانعزاله وإغلاقه لأبواب التغيير.

يقول المؤلف الدكتور أحمد عبيد بن دغر: كان للإمام يحيى فلسفته في الحكم ونهجه في إدارة الأمور، وكانت لهذه الفلسفة وهذا النهج جذوره الموضوعية في تكوين اليمن الجغرافي وفي تركيبته الاجتماعية، أضفى عليها الإمام يحيى شيئاً من ثقافته الدينية وخبراته الحياتية - لقد فرض على اليمن سوراً من العزلة، أراد به إبعاد اليمن عن أية مؤثرات.. وبالتالي أصبحت اليمن ضمن رؤيته إقطاعية خاصة والشعب ضمن فلسفته قطعياً من مخلوقات الله.

إذا يتضح جلياً توفيق المؤلف في هذا الفصل باستعراضه لأحداث تلك المرحلة التي منلت بداية قيام وصعود الدولة التوكلية التي تشكلت فيها شخصية الأمير أحمد -الإمام لاحقاً- كأحد أبرز رجالاتها فقد خاض حرباً عدة لا تضاع مؤهلاتها وهذا ما سيوضح في تناولنا القادمة للقسم الثاني إليه أهل اليمن باعتباره الأمل في تحرير الجنوب والرجاء في إصلاح الأحوال التي سادت في عهد والده يوماً بعد يوم فتها للزعامة، وطلب الإمامة وسعى إليها رغم أنه لم يكن بمؤهلها وهذا ما سيهجيته وحياديتها قلماً نجدها في الكتابات والمذكرات والمؤلفات التي تناولت فترة عانت فيها اليمن أشد المعاناة، ولزالت بسببها تواجه الكثير من المتاعب، وأثارها لاتزال في كافة مناحي الحياة. □

الشامي: زيارة بيرنز تؤكد جدية الدعم الأمريكي لبلادنا

قال مساعد وزير الخارجية الأمريكية للشؤون السياسية «وليام بيرنز»، قد أنهى الثلاثاء الماضي زيارته لبلادنا التي استغرقت يومين والتقى خلالها رئيس الجمهورية ووزير الخارجية. وتناولت الزيارة أوجه التعاون بين صنعاء وواشنطن وفي مقدمتها مساعدة اليمن لمواجهة التحديات الأمنية التي يشكلها تنظيم القاعدة، إلى جانب العمل المشترك لدعم جهود اليمن لتجاوز التحديات التي تواجهها.

إلى ذلك أفاد بيرنز أن أمريكا قدمت لبلادنا خلال هذا العام ٣٠٠ مليون دولار خصفها مساعدات تنموية واقتصادية. □

ذلك ما جاء على لسان مساعد وزيرة الخارجية الأمريكية بأن قدرات الأجهزة الأمنية اليمنية باتت تتعزز على أرض الواقع، إلى جانب إزالة الشكوك والتأكيد على دعم الجهود الأمنية للدولة في محاربة الإرهاب وأنها لا تريد أن تحل محل الأجهزة الأمنية اليمنية. واعتبر طارق الشامي في تصريح لموقع «نيوز يمن»، أن ما ورد على لسان المسؤول الأمريكي يؤكد بأن الأجهزة الأمنية قد حققت دوراً قاعلاً في مجال مكافحة الإرهاب.. قال: نتطلع إلى مزيد من الدعم الأمريكي لاسيما في مجال التقنيات العسكرية والأمنية الحديثة بالإضافة إلى الدعم الاقتصادي.

قال رئيس الدائرة الإعلامية للمؤتمر الشعبي العام طارق الشامي إن زيارة مساعد وزيرة الخارجية الأمريكية تؤكد جدية الدعم الأمريكي لبلادنا فيما يتعلق بجهود محاربة الإرهاب والمضي في مسيرة الإصلاحات الاقتصادية والسياسية، مؤملاً في أن تكون نتائج الزيارة إيجابية وملموسة فيما يتعلق بمجالات التنمية ومعالجة الأعباء الاقتصادية الناتجة عن الإصلاحات الاقتصادية والتي ستعود بنتائج إيجابية على البلاد. وأضاف الشامي: إن الزيارة حملت في مدلولاتها الكثير من الجوانب الإيجابية في مسار العلاقات بين اليمن والولايات المتحدة، ويؤكد

قال رئيس الدائرة الإعلامية للمؤتمر الشعبي العام طارق الشامي إن زيارة مساعد وزيرة الخارجية الأمريكية تؤكد جدية الدعم الأمريكي لبلادنا فيما يتعلق بجهود محاربة الإرهاب والمضي في مسيرة الإصلاحات الاقتصادية والسياسية، مؤملاً في أن تكون نتائج الزيارة إيجابية وملموسة فيما يتعلق بمجالات التنمية ومعالجة الأعباء الاقتصادية الناتجة عن الإصلاحات الاقتصادية والتي ستعود بنتائج إيجابية على البلاد. وأضاف الشامي: إن الزيارة حملت في مدلولاتها الكثير من الجوانب الإيجابية في مسار العلاقات بين اليمن والولايات المتحدة، ويؤكد



طارق الشامي